الفتح الإسلامي للمغرب:

عند دراستنا لتاريخ الفتح الإسلامي للمغرب علينا أن ندرسه من نطاقه الحضاري و لا يجب أن ننظر إلى تعطل الفتح و طول مدته للعوامل الداخلية للمغرب ، بقدر ما يجب أن نأخذ بعين الاعتبار العوامل التالية:

1. إن المغرب يختلف في طبيعته البشرية و الجغرافية عن بلاد فارس و بلاد الشام ، و لقد وضع الروم و البيزنطيون في هذه البلاد خطوطا و خططا دفاعية على طول المغرب و عمدوا إلى تقسيم الأمازيغ و عزلهم في مناطق تشبه المعسكرات.

2. وجد الفاتحون البربر في تشتت كبير و كانوا يتوزعون في مراكز نفوذ و قلاع ثم جبال ، فوجب على الفاتحين القضاء عليها واحدة تلو الأخرى و على مراحل مختلفة.

3. إن البيئة الاجتماعية للمغرب و علاقتها بالبيزنطيين كانت هي الأخرى من بين العوامل و الأسباب التي صعبت مهمة الفاتحين المسلمين.

4. لإضافة إلى ذلك فترة فتوحات المغرب صادفتها أزمات دينية و سياسة متكررة في مركز القيادة الإسلامية بالمشرق.

المرحلة الأولى وهى مرحلة الاستطلاع: وتبدأ من سنة 21هـ،642م إلى سنة 49هـ، 669م وتشمل هذه المرحلة جهود ثلاثة من قادة الفتح الإسلامى وهم

1*عمرو بن العاص في عهد عمر بن الخطاب

*فتح برقة : منذ ولاية عمرو بن العاص على مصر شرع المسلمون في فتح بلاد المغرب و ذلك إتماما لفتح مصر لأن برقة كانت جزءا متمما لها ، وتأمينا لحدود مصر الغربية التي قد تتعرض لغزو بيزنطي من برقة ، و لم ينتظر عمرو بن العاص حتى ينتهي من فتح ليتفرغ لفتح برقة و إنما قام بإرسال عقبة بن نافع الفهري على رأس حملة استطلاعية على برقة و يبدو أن عمرو بن العاص قد اطمأن إلى تقرير عقبة بن نافع عن هذه المنطقة لذلك قام بتسيير الجيش لفتحها و كانت برقة وقت ذاك أشبه بولاية بربرية مستقلة عن بيزنطة.

كما كانت الصحراء الممتدة ما بين برقة و مصر تسكنها قبائل البتر البربرية و كانت هذه الأخيرة أشد القبائل البربرية بأسا رغم ذلك استسلمت للعرب فصالحهم عمرو بن العاص على جزية يؤدونها إليه و نتيجة لذلك كسبت قبائل البتر إلى جانب المسلمين كما اعتنق بعضهم الإسلام.

*فتح طرابلس : بعد إتمام فتح برقة شرع عمرو بن العاص في فتح طرابلس فكلف عقبة بن نافع بالتوجه إلى فزان التي تم فتحها حتى منطقة زويلة و بذلك ضمن عمرو بن العاص الواحات الداخلية التي كانت ما بين زويلة و برقة

و التي كانت تهدد سلطان العرب ، هذا و في الوقت الذي كان فيه عقبة بن نافع يفتح فزان توجه عمرو بن العاص لفتح طرابلس ، فتم له ذلك سنة 22 هـ كما تمكن من فتح صبرة ، أما في سنة 23 هـ فقد تمكن أحد قادة المسلمين من فتح مدينة ودان و بهذا استطاع عمرو بن العاص الاستيلاء على برقة و الجزء الشرقي من طرابلس . يعني هذا أن الفتوحات الإسلامية كانت تتم على مراحل و بحسب طبيعة السكان .

*محاولة عمرو بن العاص فتح إفريقية : تونس حاليا

لما انتهى عمرو بن العاص من فتح طرابلس كتب إلى عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – يستأذنه في فتح إفريقيا فجاء في كتابه لعمر بن الخطاب : « إن الله فتح علينا طرابلس و ليست بيننا و بين إفريقية إلا تسعة أيام ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها و يفتحها على يده فعل .....» و لكن عمر بن الخطاب رد على عمرو بن العاص بالرفض و فضل أن توقف الفتوحات الإسلامية إلى هذا الحد الذي وصلت إليه.

و كان سبب الرفض يتمثل في خوفه على المسلمين و خاصة و هو على علم بثورات أهل إفريقية فكان رده على عمرو بن العاص : « إنها ليست بإفريقية و لكنها المفرقة غادرة ، مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت .....» لهذا السبب اضطر عمرو بن العاص الانصراف عن إفريقيا بالرغم من أنه كان بمقدوره أن يستمر في فتح إقليم طرابلس فعاد إلى مصر في حين ترك وراءه عقبة بن نافع في البلاد الصحراوية ليبيا و هو يدعو للإسلام فلجأ هذا الأخير كسب كثير من أهالي البلاد من قبائل الواتة – نفوسة – و نفزاوة.

-هل كان رد عر بن الخطاب على عمرو بن العاص إيجابيا أم سلبيا ؟

المعروف أن عمر بن الخطاب أنه كان شخصية تتميز بالحذر و الحنكة السياسية و أن هذه المنطقة تداول عليها الاستعمار

-2*عبدالله بن سعد بن أبى السرح : في عهد عثمان بن عفان

أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم و أخو عثمان من الرضاعة أسلم قبل الفتح الإسلامى بمكة، وتولى إمارة «مصر» فى سنة 25هـ646 = م ، خلفًا لعمرو بن العاص، ، فبعث إلى الخليفة «عثمان بن عفان «يستأذنه فى الخروج على رأس حملة عسكرية غزوة العبادلة تجاه إفريقية لتأمين «مصر» والمسلمين من الخطر البيزنطى المسيطر على إفريقية، ف وانطلق بها إلى إفريقية التى كانت تحت حكم القائد البيزنطى »جريجوريوس «ففتحوا مدينة «سبيطلة» وقتلوا القائد البيزنطى »جُرجير»،واكتفى بما حقق، خاصة أن المسلمين لم تكن لهم قاعدة عسكرية قريبة يلجأون إليها عند الحاجة، ولذا عاد بجيشه إلى »مصر». ثم توقف النشاط العسكرى فى إفريقية بعد ذلك لتوالى الأحداث وتلاحقها فى المشرق، حيث ثار بعض الخارجين على

الخليفة «عثمان بن عفان«، وانتهى الأمر باستشهاده، فخلفه الإمام «على بن أبى طالب»، ولم يلبث أن استشهد هو أيضًا، فتولى «معاوية بن أبسفيان» خلافة المسلمين.

-3*معاوية بن حديج:

أدرك «معاوية بن أبى سفيان» أهمية إفريقية من الناحية الاقتصادية، ودورها المؤثر فى البحر المتوسط، فضلا عن موقعها المجاور لمصر الإسلامية، فأرسل «معاوية بن حديج» على رأس جيش لمتابعة الجهاد فى إفريقية، فخرج إليها سنة 45هـ=665م ، والتقى بالبيزنطيين عند »قمونية»، ودار قتال مرير بينهما أسفر عن انتصار كبير للمسلمين، وقتل كثير من البيزنطيين، ثم مضى المسلمون نحو «جلولاء» واستولوا عليها بعد قتال شديد. وإلى هنا تنتهى المرحلة الأولى من مراحل الفتح التى أُطلق عليها: مرحلة الاستطلاع، وترجع أهميتها إلى أنها مكنت المسلمين من الاحتكاك بالبربر على أرض »المغرب«،

ومعرفة أحوال هذه البلاد، مما كان له أثر فى إقبال بعض سكان المنطقة من البربر

—وبخاصة فى «برقة» – على الإسلام

المرحلة الثانية وهى مرحلة الارتكاز والانتشار، وتمتد من سنة 50هـ=670م إلى سنة 64هـ= 684م ، وتتضمن ولايتى: «عقبة بن نافع» الأولى والثانية،

وولاية: «أبى المهاجر دينار

عقبة بن نافع: تولى «عقبة بن نافع» إمرة الجيش فى سنة 50هـ=670م . انطلق «عقبة» على رأس قواته التى بلغت عشرة آلاف مقاتل إلى إفريقية، وبنئ القيروان ا وظلت عمليات البناء هذه حتى سنة 55هـ=675م . و يضاف إلى ذلك أن موقع «القيروان» كان على الطرق الموصلة إلى »مصر»، وبذلك ضمن «عقبة» سلامة خطوط إمداده من «مصر»، ولكنه لم يستمر ليجنى ثمرة جهوده، إذ تم عزله، وتولى «أبو المهاجر دينار» إمارة الجيوش

وولاية المغرب بدلا منه.

أبو المهاجر دينار:

أقبل «أبو المهاجر» على «القيروان»، و»، وعامل البربر بمودة وعرفهم بحقيقة الدين الإسلامى وعمل على نشره بينهم، ولم يستمر «أبو المهاجر» طويلا؛ إذ تم عزله، وعودة

»عقبة ابن نافع» مرة ثانية:.

عاد «عقبة» إلى المغرب ثانية فى سنة 62هـ=682م ، بقرار من الخليفة «يزيد بن معاوية بن أبى سفيان«،

نراه فى ولايته الثانية يقوم بغزوة كبرى، يصل فيها إلى شواطئ «المحيط الأطلسى»، طرق أبواب «المغرب الأقصى»، وتم له ذلك، فكان أول فاتح عربى تطأ قدماه هذا الإقليم، و جدير بالذكر أن هذا القائد قد أساء إلى كسيلة زعيم بربر أوربة مما دفع بهذا الأخير كسيلة إلى الخروج هو و أصحابه عن طاعة عقبة و بعد ذلك انطلق عقبة بجيشه مكتسحا شمال إفريقية كله هازما من يعترض طريقه حتى دخل المغرب الأقصى سنة 62 هو بعد ذلك انطلق عقبة بجيشه مكتسحا شمال إفريقية كله هازما من يعترض طريقه حتى دخل المغرب الأقصى سنة 62 هـ .. ». سار حتى بلغ المحيط فدخل فيه حتى بلغ الماء بطن فرسه ، رفع يديه إلى السماء و قال : يا رب لولا أن البحر منعني لمضيت في البلاد حتى مسلك ذي القرنين مدافعا عن دينك مقاتلا من كفر بك « ..... .استعان «كسيلة» زعيم البربر بالروم على العرب الفاتحين، وأعد كل منهما عدته وجنوده لملاقاتهم، ثم قطعوا خط الرجعة على «عقبة» ومَن معه عند «سهل تهودة»، فاقتتل الفريقان قتالا شديدًا، واستشهد «عقبة» وعدد كبير ممن كانوا معه، ودخل »كسيلة» زعيم البربر مدينة «القيروان»، فانتهت بذلك المرحلة الثانية من مراحل الفتح.

المرحلة الثالثة: وهى مرحلة إتمام الفتح، وتمتد من سنة 69هـ=688م إلى سنة 90هـ=709م ، وتشمل جهود ثلاثة من القادة الفاتحين، وهم: «زهير بن قيس»، و«حسان بن النعمان»، و«موسى بن نصير.«

--1*زهير بن قيس البلوى:

زحف «كسيلة» وجنوده على «القيروان»، وبذل«زهير بن قيس»- الذى خلف «عقبة «فى إدارة شئون البلاد- وذهبت كل جهود «زهير» سدىً، واضطر إلى التخلى عن »القيروان»، وتوجه إلى «برقة» مع من استطاع الرحيل من المسلمين، وظل بعض المسلمين - ذوى الظروف الخاصة- بالقيروان، وطلبوا الأمان من »كسيلة» فمنحهم إياه، وأعلن نفسه أميرًا على المدينة. توقف النشاط العسكرى بالمغرب مدة خمس سنوات تقريبًا، بسبب الأحداث التى واجهتها الخلافة الأموية فى دمشق، حيث توفى الخليفة «يزيد بن معاوية» ف، ثم تولى «مروان بن الحكم» الخلافة، وقامت ثورة «عبدالله بن الزبير «بمكة،فاستنزفت هذه الثورة وقت وجهد «مروان بن الحكم» وابنه »عبدالملك» من بعده. ثم تولى «عبدالملك بن مروان» الخلافة بدمشق فى سنة 65هـ=685م ، ف فرتب «زهير» أموره، وخرج للقاء «كسيلة «وتمكنوا من قتل «كسيلة»،. انتهز الروم فرصة رحيل الجيش الإسلامى من «برقة» إلى »القيروان»، وقرروا مباغتة مدينة «برقة»، موأسفر ذلك عن هزيمة المسلمين واستشهاد «زهير.«

--2*حسان بن النعمان:«حسان بن النعمان». الذى كانت له مكانة مرموقة لدى بنى أمية، يعد هذا القائد

أول قائد من أهل الشام يدخل المغرب و يعهد إليه بولايتها زمن بني أمية »كان الولاة قبل ذلك من مصر «

●فخرج حسان من مصر على رأس جيش لم يدخل بلاد المغرب مثله من قبل فنزل قرطاجنة وكر الروم و خربها حتى أصبحت أثرا بعد عين.

●و ما كاد حسان يفرغ من الروم حتى واجهته مشكلة بربر البتر الذين اجتمعوا حول زعيمة لهم تعرف بـ: الكاهنة و يقال لها داهية بنت ماتيا بن تيغان ملكة جبل الأوراس و .انطلق «حسان» بقواته لملاقاة الكاهنة، ودارت بينهما معركة عنيفة؛ أسفرت عن مقتل أعداد كثيرة من أتباع الكاهنة، ثم مقتل الكاهنة نفسها عند بئر، عرف فيما بعد باسم: «بئر الكاهنة». وهكذا استطاع «حسان» أن يقضى على مقاومة البربر مثلما قضى من قبل على جحافل الروم، وعمد إلى تثبيت أقدام المسلمين فى «إفريقية» و«المغرب الأوسط»،وقام ودخل «المغرب» فى طور جديد من التنظيم السياسى، ثم عُزل «حسان»، وعُيِّن «موسى بن نصير» مكانه.

--3*موسى بن نصير:

وصل الوالى الجديد «موسى بن نصير» إلى «القيروان»، سنة 86هـ=705م ، ف، ونجح فى بسط نفوذ المسلمين على «المغرب الأقصى» حتى بلاد «درعة»،ثم استولى بعد ذلك على «طنجة»، وكان أول مَن نزلها، واختط فيها للمسلمين، وجعل عليها مولاه «طارق بن زياد». وقد اتبع «موسى بن نصير» سياسة من سبقه من الولاة فى نشر الدين الإسلامى بين صفوف «البربر»، وترك الدعاة يحفظون الناس القرآن الكريم، ويعلمونهم تعاليم الدين، وكذلك بنى المساجد، وأشرك البربر –مثلما فعل «حسان» من قبل– فى حكم البلاد. ويتضح ذلك فى توليته «طارق بن زياد» –الذى يرجع نسبه إلى البربر–شئون «طنجة» عاصمة «المغرب الأقصى» وأهم مدنه – آنذاك– وقد قاد طارق -فيما بعد– جيشًا كبيرًا من البربر لفتح بلاد «الأندلس».ثم صدرت الأوامر من قِبَل الخلافة باستدعاء «موسى»، فأسرع بتنفيذ الأمر، وترك ابنه »عبدالله» بالقيروان، خلفًا له فى إدارة «المغرب»،وانطلق صوب المشرق فى سنة 96هـ= 715م ، فانتهت بعودته إلى المشرق أعمال الفتح المختلفة؛ وبدأ بالمغرب عصر جديد؛ هو عصرالولاة. لقد استمرت أعمال فتح «بلاد المغرب» نحو سبعين سنة، وأخذ ذلك جهدًا كبيرًا؛ بذلت فيه الخلافة الإسلامية كثيرًا من الرجال والأموال،وهذا يغاير بصورة واضحة أعمال الفتح الأخرى التى قام بها المسلمون فى الأقاليم الأخرى، مثل: «الشام» و«مصر«،

أسباب تأخَّرَ عملية الفتح.

أولاً – طبيعة المكان:

لعل من أبرز أسباب تأخر فتح «بلاد المغرب» هو بُعْد هذه المنطقة عن مقر الخلافة الإسلامية، فضلاً عن طبيعة منطقة القتال، وهى

ساحل ضيق، تركزت فيه مقاومة البيزنطيين، وتجاورها جبال شاهقة، لجأت إليها جموع البربر واعتصمت بها، يضاف إلى ذلك وجود صحراء واسعة يشق على المحارب اجتيازها.

ثانيًا – البيزنطيون:

وهم الذين استعمروا هذه المنطقة منذ زمن بعيد، ولذلك عرفوا أهميتها، ومقدار خيراتها وثرواتها، فدافعوا عنها بكل ما يملكون

رغبة منهم فى إبقاء هذا المورد الثَّرِّ، الذى يدعمون بما يحصلون عليه منه اقتصاد بلادهم وبقاء حضارتهم، وقد عمد البيزنطيون إلى محاربة المسلمين، فضلا عن تأليب جموع البربر عليهم، كما حدث فى علاقة «كسيلة» معهم.

ثالثًا – سكان البلاد البربر :

بات «البربر» لا يرحبون بأى قادم نحوهم، دفاعًا عن حريتهم وأرضهم، وذلك ناتج عن القهر والذل والهوان الذى سيطر عليهم أعوامًا طويلة على يد الاستعمار الأجنبى لبلادهم، وكانت المقاومة أشد وأعنف من قبل هؤلاء الذين نالوا حظا من الحضارة، حيث كانوا ملاصقين للبيزنطيين، ومتأثرين بدعايتهم.

رابعًا – المسلمون الفاتحون:

لعل الأحداث السياسية التى كان يمر بها المشرق الإسلامى، فضلا عن الفتن والثورات التى انشغلت بها الخلافة الإسلامية – آنذاك – من بين أسباب تأخر فتح «بلاد المغرب.«